# محمود أبو الوفا

## ورحلة العطاء

obeikandl.com

لم يكد الطفل يبلغ العاشرة من عمره حتى أحس بآلام حادة فى قدمه اليسري، ومع تأوهاته حمله أبوه إلى صديقه الدكتور إبراهيم على باشا رائد الجراحة فى مصر آنذاك.. ولم يكن أمام الطبيب سوى أن يقطع ساق الطفل تخلصاً من هذه الآلام.

ويعود الطفل إلى قريته (قرية الديرس مركز أجا دقهلية) ليجد أباه قد فارق الحياة.. ويشاء القدر أن يبدأ محمود أبو الوفا حياته بهذه المأساة المزدوجة.. بتر ساقه وفقد أبيه.. ليعيش بها طوال عمره.

ترى ماذا يفعل هذا الصغير.. وكيف يحيا ويرسم مستقبله..

لقد أحس أن قريته لم تعد تلك الطبيعة الساحرة.. ولم يعد أهلها أهل السماحة والكرم.. فقد أحس بنظرات الناس تشفق عليه وهى تراه بساق واحدة، وقد أمسك بعصا يتوهم أنها ساقه الأخرى..!

كانت مرارة الحرمان من ممارسة الطفولة تتسلل إلى داخله حتى صارت عبئاً على نفسه البريئة الصغيرة..

وفى صباح أحد الأيام أحس بأن كل شئ من حوله بمثابة القيود الفولاذية فدخل على أمه والدموع فى عينيه، وطلب منها أن تعطيه جنيهين.. وأسرع مسافراً إلى القاهرة.. هروباً من هذه الهواجس التى ينوء بها..

كان الطفل يقرأ فى مكتبة أبيه كيف كان يرحب الحكام والخلفاء بالشعراء.. وكيف كان المتنبي يرسل تابعه إلى سيف الدولة فيهم للقائه.. لماذا إذن لا يطلب مقابلة السلطان حسين.

اقترب محمود من مكتب البريد وأرسل برقية إلى السلطان تقول: "مولاي إني مغلوب فانتصر".

ثم اقترب من قصر السلطان ووقف أمام البوابة الكبرى فترة طويلة لعل السلطان يستجيب له ويطلبه للقائه ويلحقه بعمل يليق به.. لكنه لفت نظر الحراس.. فسألوه لماذا تقف هكذا؟ فأخبرهم بما يريد.. فيرد عليه أحد الحراس:

– يا فتي.. لا تستطيع أن تقابل السلطان إلا بواسطة أحد البشوات..

كانت هذه الإجابة كفيلة بإغراقه فى اليأس والحرمان.. فعاد إلى قريته خائباً حزينا.

لم يكن أمامه إلا الانتصار على هذا الشعور الذى يشتعل داخله، فلم يجد سوى أن يثقف نفسه ويقرأ مكتبة أبيه.

ووجدها فرصة للسفر إلى دمياط حيث لقي على أفندي العزبي أحد أصدقاء أبيه وأحد الشعراء الكبار آنذاك.. وكان يعمل ناظراً لمدرسة الفتوح.

رحب به على أفندي وألحقه بمعهد دمياط الديني.. كما وجد له عملاً فى المدرسة التى يقوم على إدارتها.

ولم يوفق فى المعهد الديني لأنه أثار عليه أساتذة المعهد وهو يسألهم أسئلة محيرة خارج المنهج الدراسي.. فأبعدوه عن الدراسة فى المعهد.. وسمحوا له أن يؤدى الامتحان (من منازلهم).

وفى العام التاسع عشر من عمره (١٩١٩م) رحل إلى القاهرة لعله يجد فيها عملاً مناسباً.. لكنه أخفق فى الحصول على وظيفة.. فلجأ إلى العمل الحر.. وفتح محلاً يبيع فيه السجائر.. وخسر.. وفتح مطعماً للفول.. وخسر أيضاً..

وكان قد بدأ يتقن الشعر.. فأحس أنه لن يفلح فى أي عمل تجاري وأن حياته سوف تؤدى به إلى ساحة الشعر فحسب.. وفجرت ثورة ١٩١٩م على لسانه قصائده الوطنية.. ولم تقعده ساقه المبتورة عن المشاركة فى هذه الثورة.. وهو يقول:

**يا ذوى العرفان من مصر  اكسحوا عن أرضكم هذا الوخم**

وتبدأ رحلة أبي الوفا فى الندوات الأدبية.. ويعرفه الوسط الأدبي وفى عام ١٩٢٧م أعلنت الدولة عن مسابقة لإقامة مهرجان شعري تكريماً لأمير الشعراء أحمد شوقي.. فتقدم أبو الوفا إلى هذه المسابقة وكانت قصيدته الأولي.. ومن ثم وجهت له الدعوة لإلقائها فى حفل يقام فى معهد الموسيقى العربية.

ويدخل شوقي باحة المعهد فيري رجلاً يستند على عكاز ويلبس الجلباب، فأخبروه بأنه الشاعر محمود أبو الوفا الذى فاز فى المسابقة وسوف يلقي قصيدته فى المهرجان.. فتأفف شوقي من هيئته.. وصاح: إما أنا وإما

هـو..! وعلـى الفـور أسـرع أبـو الوفـا يقـول لـه:

– بل أنا أخرج يا شوقي بك.. لأنك عريس الليلة!

وأسرع إلى أقرب مقهى.. يسجل مشاعره:

**فى ذمة الله نفسٌ ذاتُ آمال**

**وفى سبيل العلا هذا الدمُ الغالى**

**بذلتُه لم أذقْ فى العمرِ واحدة**

**من الهناء ولا من راحة البالِ**

**كأننى فكرة فى غير بيئتها**

**بدت فلم تلق فيها أىَّ إقبالِ**

**أو أننى جئتُ هذا الكون من غلط**

**فضاق بى رحبُه المأهول والخالى**

ويبـدأ أبـو الوفـا رحلـة نشـر الشـعر.. ويغنـى لـه عبـد الوهـاب: عندمـا يأتـي المسـاء.. ويصـل ذلـك إلى سمـع أحمـد شـوقي.. فيسـعي إليـه معتـذراً ويشـترك فـى حفل تكريمـه قائلا:

**خلف البهاءَ على القريض وكأسه**

**فسـقى بعذب نسيبه العشاقا**

**البلبل الغرِّيد قد هزّ الربى**

**وشجى الغصون وحرك الأوراقا**



obeikandl.com

**سبَّاق غايات البيان جرى بلا**

**ساق.. فكيف إذا استرد الساقا**

**غال بقيمته فلم يصنع له**

**إلا الجناح محلقاً .. خفاقا**

وشكره أبو الوفا.. وصارا صديقين..

ويسعى له أصدقاؤه لدى إسماعيل باشا صدقي لكي يعالج في الخارج على نفقة الدولة.. لكنه يكتشف أن الموافقة لن تتم إلا بكتابة أبيات قليلة في مدح الباشا.. فرفض.. لكن السيدة هدى شعراوي استطاعت أن تتوسط دون إهانة الشاعر.. وسافر إلى باريس ليحصل على ساق صناعية..

ويتقلب محمود أبو الوفاء في بعض الوظائف الأدبية، لكنه ظل محافظاً على كرامته طوال عمره.

وفي عام ١٩٦٩م أصيب بالعمى.. وفي عام ١٩٧٢م أصيب بالذبحة الصدرية.. وظل يعاني آلامها حتى عام ١٩٧٩م حيث رحل عن العالم ولسان حاله يقول:

**علينا نؤدّى للحياة رسلة هى الحبّ حتى ليس للحب مانعُ**

**كذلك أدعو الطير تحيا هواتفاً مغردة ما عاش فى الروض ساجعُ**

رحل محمود أبو الوفا تاركاً لنا نموذجاً عظيماً لعشق الحياة.. والصبر والعطاء الذى لا يتوقف أمام أية محنة..